

التأويل في مختلف المذاهب والآراء

فليس فيهم الآن من هو من نسل إبراهيم وسلالته المدعوّة، ولكنّهم وبلا استثناء أتباع وموال، ويا ليتهم حدّثوا بما نزل عليهم، فبعد مقتل يحيى ورفع عيسى إلى السماء، انتهت السلالة الطاهرة إلى الأبد من نسل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، لتنتقل النبوة إلى البيت الإسماعيلي، وإلى حفيده محمّد بن عبدا (صلى الله عليه وآله) خاتم الأنبياء والمرسلين. ورسالة الإسلام تكون نهاية رحلة الكفاح الذي لا نظير له لأبي الأنبياء إبراهيم من أجل إعلاء كلمة الله. وعوداً إلى الموضوع الأساسي للسورة، ألا وهو القصّة الحقيقيّة للمسيح: فكما عرضنا فيما سبق ولد المسيح بمعجزة لا تتكرّر، ولكن رغم ولادته بدون أب، إلّا أنّه أنطق بالحقيقة وهو ما زال في المهد: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرَّأ بَوَالِدَيْيَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَنِي حَبِيبًا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ). فرغم ولادته (عليه السلام) بهذه المعجزة، فهذا لا يجعل منه إلهاً أو ابن إله، وتصديقاً لذلك نرى في ختام السورة القول الفصل في هذا الموضوع: (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرَّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا). فكلّ مخلوقات الله، حتّى ولو كانوا الملائكة أنفسهم، عبيد لله، وليسوا أبناءه وأنداداً له جلّ وعلا، ومن يقول مثل هذا الشرك الفظيع يعلمه الله ويتوعّده: (لَقَدْ أَهْمَتْهُمْ أَعْدَاهُمْ * وَكَلَّاهُمْ آتِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا). وما أبلغ القول القرآني في سورة النساء: (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَعَ عَبْدًا